



مجلس في فوائد الذكر

الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما الله تعالى

١٤٤٢/٠١/١٣ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد :

أيها الإخوة الكرام : هذا مجلس في بيان شيء من فوائد الذكر العظيمة وآثاره المباركة على الذكر في دنياه وأخراه ؛ إذ إن فوائد الذكر لا تُعدّ ولا تحصى ، وثماره وآثاره على الذكر في دنياه وأخراه كثيرة ، وقد جاء في السنن من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ((أَلَا أُتَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاها عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى ، قَالَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى)) (١) .

وقد جاء في بيان فضل الذكر آيات عديدة في كتاب الله ﷻ وأحاديث عن رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - ، واعتنى أهل العلم كثيراً بعدّ فوائد الذكر وذكر ثماره وآثاره ، ومن أحسن من كتب في هذا الباب العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه الوابل الصيب حيث قال - رحمه الله - : " وفي الذكر أكثر من مئة فائدة " ثم شرع - رحمه الله تعالى - يعدّ فوائد الذكر وثماره وآثاره ؛ فذكر ما يزيد على السبعين فائدة لذكر الله ﷻ ، وكل واحدة منها كافية في حفز المؤمن على العناية بالذكر ورعايته والاهتمام به والمحافظة عليه .

وبين أيدينا الآن أبيات طيّبات للإمام العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله تعالى - ؛ نظمها في بيان فوائد الذكر فأجاد وأفاد - رحمه الله تعالى - ، فنقف من خلال هذه المنظومة على شيء من فوائد الذكر العظيمة وآثاره المباركة .

قال رحمه الله تعالى :

وَكُنْ ذَاكِراً لِلَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ فَلَيْسَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَقْتُ مُقَيَّدٍ
فَذِكْرُ إِلَهِ الْعَرْشِ سِرًّا وَمُعْلَنًا يُزِيلُ الشَّقَا وَالْهَمَّ عَنْكَ وَيَطْرُدُ

بدأ - رحمه الله تعالى - هذه الأبيات بالحث على ذكر الله ﷻ في كل حالة ؛ قال ((وَكُنْ ذَاكِراً لِلَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ)) ؛ أي في حال قيامك ، وقعودك ، واضطجاعك ، ودخولك ، وخروجك ، وذهابك ، ورواحك ، في كل أحوالك ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١] .

ف ((كُنْ ذَاكِرًا لِلَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ)): أي اعتني يا عبد الله بذكر الله ﷻ في كل أحوالك وجميع شئونك ولا تكن من الغافلين ، وقد جاء في صحيح مسلم ^(٢) عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت : ((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ)) ؛ أي في حال القيام ، وفي حال القعود ، وفي حال الاضطجاع ، وفي حال الذهاب ، وفي حال الرواح ، في كل ذلك يذكر الله جل وعلا ، وكان - صلوات الله وسلامه عليه - أكثر عباد الله ذكراً لله جل وعلا .

الشاهد أن الناظم - رحمه الله تعالى - بدأ هذا النظم بالحث على ذكر الله والإكثار منه فقال :

((وَكُنْ ذَاكِرًا لِلَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ فَلَيْسَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَقْتُ مُقَيَّدٌ))

المعنى : أي ليس هناك وقت مقيد بحيث يقال لا يذكر الله جل وعلا إلا في هذا الوقت ؛ بل الله جل وعلا يُذكر في كل وقت وفي كل حين وفي كل ساعة من ليل أو نهار ، لكن هناك أوقات مقيدة لأذكار معينة مثل أذكار الصباح وأذكار المساء وأذكار أدبار الصلوات ونحو ذلك من الأذكار المقيدة بوقت معين أو حال معين أو سبب معين ؛ فهذا ليس تقييداً للذكر المطلق وإنما هو تقييد للأذكار المقيدة بهذه الأوقات بحيث يكون ذكر الله ﷻ بها في الأوقات التي جاءت السنة مقيدة لها بتلك الأوقات ، أما ذكر الله ﷻ مطلقاً فهذا مشروع في كل وقت وحين ((فَلَيْسَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَقْتُ مُقَيَّدٌ)) .

قال : ((فَذِكْرُ إِلِهِ الْعَرْشِ سِرًّا وَمُعْلَنًا يُزِيلُ الشَّقَا وَالْهَمَّ عَنْكَ وَيَطْرُدُ)) ؛ هذه الفائدة الأولى من فوائد الذكر أن ذكر الله - جل وعلا - يزيل الشقاء ويزيل الهم ويطرده عن العبد ، وما أزيلت الهموم وطُردت عن النفس الغموم بمثل ذكر الله ﷻ ، فذكر الله ﷻ شفاء الصدور ، وجلاء الأحزان ، وشفاء القلوب ، وزوال المكدرات والكربات والغموم التي تنتاب القلوب ، والله ﷻ يقول ﴿الَّذِي يَذْكُرُ اللَّهَ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] ، ولهذا فإن من فوائد الذكر العظيمة وآثاره المباركة أنه يزيل الشقاء ، وزوال الشقاء يدل على تحقق السعادة لأن الشقاء ضده السعادة ؛ فإذا زال الشقاء حلت السعادة وتحقق للعبد الهناءة في عيشه وقرة العين والبهجة في النفس والسرور في القلب ، فهذه كلها آثار وفوائد لذكر الله ﷻ ((يُزِيلُ الشَّقَا وَالْهَمَّ عَنْكَ وَيَطْرُدُ)) ؛ أي يطردها ويبيدها عنك ، ولهذا جاء عن النبي ﷺ في هذا الباب أحاديث عديدة فيها طرد الهم بذكر الله - جل وعلا - وحُسن اللجوء إليه ﷻ .

قال رحمه الله تعالى :

وَيَجْلِبُ لِلْخَيْرَاتِ دُنْيَاً وَآجَلاً

وَإِنْ يَأْتِكَ الْوَسْوَاسُ يَوْمًا يُشْرِدُ

ذكر هنا في هذا البيت فائدتين من فوائد الذكر العظيمة ؛ الفائدة الأولى : أنه يجلب للخيرات دنياً وآجلاً ؛ فذكر الله ﷻ جلاب للنعم دفاع للنقم ، وما استجلبت النعم واستدفعت النقم بمثل ذكر الله - جل وعلا- ، فذكر الله ﷻ مجلبة للنعم وطارد للنقم ؛ لأن الذاكر يكون بذكره الله ﷻ بحفظ الله وعونه ومده وتوفيقه وتسديده ﷻ .

والفائدة الثانية : أنه يطرد الوسواس الذي هو الشيطان ، فذكر الله ﷻ طارد للشيطان عن العبد ، والغفلة عن

ذكر الله ﷻ جالبة للشيطان ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٤]

هذا هو الشيطان وسواس خناس ، إذا غفل عن ذكر الله وسوس ، وإذا ذكر الله خنس أي انطرد وابتعد عن العبد

، فذكر الله ﷻ طارد للشيطان ، والغفلة عن ذكره جالبة له ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا

فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦] ، ولهذا فإن الذكر حصن حصين وحرز مكين يحمي العبد ويقيه بإذن الله تبارك وتعالى

من الشيطان الرجيم ، وقد جاء في حديث عن نبينا - عليه الصلاة والسلام - أن زكريا عليه السلام قال لقومه : ((إِنَّ

اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَمُرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ - وذكر منها - : وَأَمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّ مَثَلَ

ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ حَرَجَ الْعَدُوَّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْزَرَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا

يُحْزِرُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ)) (٣) وهذا مثل عظيم يبين حال الذاكر وأن الذاكر لله ﷻ مثل رجل انطلق

خلفه الأعداء فدخل في حصن حصين فلم يستطع أحد من أعدائه أن يصل إليه؛ وهكذا الشأن في ذكر الله

يصبح الذاكر في حصانة وفي مناعة وفي واقٍ يقيه بإذن الله ﷻ من هزم الشيطان ونفخه ونفته .

قال : ((وَإِنْ يَأْتِكَ الْوَسْوَاسُ يَوْمًا يُشْرِدُ)) ؛ أي يشرده الذكر بمعنى أنه يطرده ويبعده عنك .

قال رحمه الله تعالى :

فَقَدْ أَخْبَرَ الْمُخْتَارُ يَوْمًا لِصَحْبِهِ

بِأَنَّ كَثِيرَ الذِّكْرِ فِي السَّبْقِ مُفْرِدٌ

وهذه أيضاً فائدة عظيمة من فوائد الذكر ؛ أن النبي - عليه الصلاة والسلام - عدّ الذاكرين بأنهم السابقون في

مضمار التنافس في نيل مرضاة الله - جل وعلا - وثوابه ، فإن العاملين لنيل ثواب الله ﷻ وأجره ﷻ مثلهم

٣ رواه الترمذي (٢٨٦٣) .

كمثل أناس في مضمار وفي سباق في ذلك المضمار ، ومثل الذاكرين في هذا كالسابق في مضمار السباق والمتقدم على الأصحاب والرفاق ، قال ابن القيم - رحمه الله - : " عمَّال الآخرة كلهم في مضمار سباق ، والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار " ، وهذا يدل عليه ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال : ((سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ ، قَالُوا وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ))^(٤). فإذا من فوائد الذكر العظيمة أن الذاكر يسبق غيره ويتقدم عليه ، فهو من أعظم ما يكون به السبق لنيل دراجات الله ﷻ وثوابه العظيم .

قال رحمه الله تعالى :

وَوَصَّى مُعَاذًا يَسْتَعِينُ إِلَهَهُ عَلَى ذِكْرِهِ وَالشُّكْرِ بِالْحُسْنِ يَعْبُدُ

ومن فوائد الذكر أن النبي - عليه الصلاة والسلام - وصى حَبَّه معاذ بن جبل ﷺ أن يسأل إلهه وأن يطلب منه ﷻ العون على الذكر والشكر وحسن العبادة ؛ وهذه أعظم المطالب وأجلها أن يعينه على الذكر والشكر وحسن العبادة كما ثبت في سنن أبي داود ومسنند الإمام أحمد أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال : ((يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ فَقَالَ أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ))^(٥) .

٤ رواه مسلم (٢٦٧٦) .

٥ رواه أبو داود (١٥٢٢) .

قال رحمه الله تعالى :

وَأَوْصَى لِشَخْصٍ قَدْ أَتَى لِنَصِيحَةٍ وَقَدْ كَانَ فِي حَمْلِ الشَّرَائِعِ يَجْهَدُ
بِأَنْ لَا يَزَالَ رَطْبًا لِسَانِكَ هَذِهِ تُعِينُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ وَتُسَعِدُ

ثم ذكر في هذين البيتين فائدة عظيمة من فوائد الذكر ألا وهي : أن الذكر يسهل على العبد ويسر له فعل الأوامر وترك النواهي ؛ وإذا كثرت على العبد وثقلت عليه فليس هناك ما يسهلها ويلينها ويسرها مثل ذكر الله ﷻ ، والناظم - رحمه الله تعالى - يشير في هذين البيتين لما رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه ((أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ ؟ - أي أتمسك به - قَالَ لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ))^(٦) . ولكي نفهم هذا الحديث على بابه دون خطأ يجب أن نعرف المطلوب السائل عندما قال للنبي - عليه الصلاة والسلام - ((إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ)) ماذا يريد ؟ هل يريد من النبي - عليه الصلاة والسلام - أن يعفيه من هذه الشرائع ؟ الجواب لا ؛ بل مراده أن يذكر له النبي - عليه الصلاة والسلام - أمراً يجعل هذه الشرائع خفيفة عليه سهلة يسيرة ليست ثقيلة على نفسه ولا صعبة ، فقال له النبي - عليه الصلاة والسلام - ((لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)) .

فإذاً من فوائد الذكر العظيمة كما يدل لذلك هذا الحديث أن ذكر الله ﷻ يذل ويسر للإنسان الشرائع ويعينه على فعلها فلا تكون صعبة على الذاكر ، بينما الغافل عن ذكر الله ﷻ الساهي إذا نودي للصلاة ثقلت عليه وإذا نودي للطاعات الأخرى ثقلت عليه ، بينما الذاكر ذكره الله ﷻ يلين له الطاعات ويسهل عليه العبادات ولهذا قال : ((وَأَوْصَى لِشَخْصٍ قَدْ أَتَى لِنَصِيحَةٍ وَقَدْ كَانَ فِي حَمْلِ الشَّرَائِعِ يَجْهَدُ)) يعني يجد مشقة وجهد في حمل الشرائع وأنها كثيرة عليه ويجد مشقة وجهداً في القيام بها ، فقال له النبي - عليه الصلاة والسلام - ((لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا)) .

قال : ((هَذِهِ تُعِينُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ وَتُسَعِدُ)) ؛ تعين على الطاعات ، تعين على العبادات ، تعين على الانكفاف عن المعاصي ، تعين على عموم المصالح - مصالح العبد الدينية والدنيوية - ، ولهذا أرشد - عليه الصلاة والسلام - من يخرج من بيته لمصلحة دينية أو دنيوية أن يقول : " بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ " ؛ فهذا الذكر عون للعبد لتحقيق مصالحه ومطالبه الدينية والدنيوية .

قال رحمه الله تعالى :

٦ رواه الترمذي (٣٣٧٥) ، وابن ماجه (٣٧٩٣) واللفظ للترمذي .

وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ غَرْسٌ لِأَهْلِهِ بِجَنَّاتٍ عَدْنٍ وَالْمَسَاكِينُ تُمَهَّدُ

في هذا البيت يبين فائدة عظيمة من فوائد ذكر الله ﷻ ؛ أنه غراس الجنة ، وكلما ذكر العبد ربه - جل وعلا - كان ذكره لربه غراساً له في جنات النعيم ، وهذا دل عليه أحاديث منها ما رواه الترمذي^(٧) عن عبد الله بن مسعود أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال : ((لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَقْرَيْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ وَأَنْهَا قِيَعَانُ وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ)) ، وهذا المعنى جاء فيه أحاديث عن رسول الله ﷺ ، فذكر الله - تبارك وتعالى - غراس للجنة ؛ بمعنى أن العبد كلما أكثر من ذكر الله كثر غراسه في الجنة بينما غراس الدنيا يحتاج من العبد جهد جهيد وعمل متواصل حتى يكون له غراس ونخل وشجر وثمار ، بينما غراس الجنة يكون بالأعمال الصالحات والطاعات الزاكيات وأعظم ذلك ذكر الله - تبارك وتعالى - .

قال : ((وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ غَرْسٌ لِأَهْلِهِ بِجَنَّاتٍ عَدْنٍ وَالْمَسَاكِينُ تُمَهَّدُ)) ؛ أي مساكين الذاكرين ومنازلهم في جنات النعيم تمهد وتهيا لهم ويُعدُّ لهم فيها القرى والنزل والنعيم المقيم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

قال رحمه الله تعالى :

وَأَخْبَرَ أَنَّ اللَّهَ يَذْكُرُ عَبْدَهُ وَمَعَهُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ يُسَدِّدُ

ذكر - رحمه الله تعالى - في هذا البيت فائدتين عظيمتين من فوائد الذكر :

الفائدة الأولى : أن الله ﷻ يذكر عبده الذاكر كما قال الله ﷻ ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢] ، وكما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال : ((يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ))^(٨) ، فإذا من فوائد الذكر العظيمة أن الله ﷻ يذكر الذاكر وكفى بالذاكر شرفاً وفضلاً أن يذكره رب العالمين ﷻ ، قال : ((وَأَخْبَرَ أَنَّ اللَّهَ يَذْكُرُ عَبْدَهُ)) ؛ أي أن الله ﷻ يذكر عبده الذاكر ، فمن ذكر الله ذكره الله ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ .

٧ برقم (٢٤٦٢) .

٨ رواه البخاري (٧٤٠٥) ، مسلم (٢٦٧٥) .

والفائدة الثانية : أن الله ﷻ مع الذاكر بتسديده وتأييده وعونه وتوفيقه وهذا قول الناظم رحمه الله ((وَمَعَهُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ يُسَدِّدُ)) ؛ فمن فوائد الذكر العظيمة أن الله ﷻ مع الذاكر حفظاً وتوفيقاً وعوناً وتسديداً ، وقد جاء في صحيح البخاري تعليقا وفي المسند للإمام أحمد وغيره موصولاً عن النبي ﷺ أنه قال : ((قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ)) ، فالله ﷻ مع الذاكر وهذه المعية معية خاصة تقتضي التسديد والتأييد والعون والحفظ والكلاءة والرعاية ولهذا قال الناظم ((وَمَعَهُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ يُسَدِّدُ)) أي يسدده في كل أموره وجميع شئونه .

قال رحمه الله تعالى :

وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ يَبْقَى بِجَنَّةٍ وَيَنْقَطِعُ التَّكْلِيفُ حِينَ يُخَلِّدُوا

ومن فوائد الذكر العظيمة أنه يبقى في الجنة مع الذاكرين ، وأهل الجنة يلهمون الذكر في الجنة كما يلهمون النفس ويبقى معهم ذكر الله - جل وعلا - في جنات النعيم ، والتكليف في الجنة منقطع لا يكلفون فيها بأعمال وعبادات لكن يبقى ذكر الله - جل وعلا - لهم في جنات النعيم لذة وهناء وسعادة وقرّة عين ، ولهذا جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ؓ عندما ذكر النبي - عليه الصلاة والسلام - أول زمرة يدخلون الجنة ذكر في الحديث قال - عليه الصلاة والسلام - : ((يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا)) (٩) أي في جنات النعيم يبقى الذكر لله ﷻ ولا ينقطع مع أن التكليف في الجنة ينقطع ويخلد أهل الجنة فيها أبد الآباد لا يكلفون بطاعات وأعمال لكن يبقى معهم ذكر الله ﷻ لذة وهناء وقرّة عين يهنئون بذكرهم لربهم ﷻ في جنات النعيم ، وأول ما يدخل أهل الجنة الجنة يمدون الله ويذكرونه ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣] .

قال رحمه الله تعالى :

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذِكْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ طَرِيقٌ إِلَى حُبِّ الْإِلَهِ وَمُرْشِدٌ

قال : ((وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذِكْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ طَرِيقٌ إِلَى حُبِّ الْإِلَهِ وَمُرْشِدٌ)) وسيأتي تنمة للكلام في الأبيات التي بعده لكنه هنا ذكر فائدة عظيمة من فوائد الذكر أنه من أعظم الأسباب الجالبة لمحبة الله ﷻ وأن الإكثار من ذكر الله ﷻ سبب عظيم لنيل محبة الله لعبد ومن أحب شيئا أكثر ذكره ، فالإكثار من ذكر الله - جل وعلا - دليل على

٩ رواه البخاري (٣٢٤٦) ، مسلم (٢٨٣٤) .

حب الذاكر لربه سبحانه ، ومن أحب شيئاً أكثر ذكره ، ومن أحب الله أحبه الله ، والله يقول : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] ، فالذكر والإكثار منه سبب عظيم لنيل محبة الله ﷻ لعبده ، فالله يحب الذاكرين جل وعلا .
 قال : ((وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذِكْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ طَرِيقٌ إِلَى حُبِّ الْإِلَهِ وَمُرْشِدٌ)) ؛ فمن فوائد الذكر أنه طريق يوصل العبد ويرشده إلى نيل محبة الله ﷻ له ، والعلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه مدارج السالكين عقد فصلاً في الأمور الجالبة لمحبة الله ؛ أي التي ينال بها محبة الله وذكر عشرة أمور من بينها المداومة والمحافظة والإكثار من ذكر الله - تبارك وتعالى - .

قال رحمه الله تعالى :

وَيَنْهَى الْفَتَى عَنْ غِيْبَةٍ وَنَمِيمَةٍ وَعَنْ كُلِّ قَوْلٍ لِلدِّيَانَةِ مُفْسِدٌ

وهذه فائدة أخرى عظيمة من فوائد الذكر أنه ينهى الفتى عن غيبة ونميمة .

والغيبة : ذكر الإنسان أخاه في غيبته بما يكره .

والنميمة : نقل كلام الناس بعضهم في بعض على وجه الإفساد والوقعة بينهم .

وكل من الغيبة والنميمة من كبائر الذنوب ، فمن فوائد الذكر أنه ينهى العبد عن الغيبة وعن النميمة وينهاه عن كل قول سيء كالفحش والبذاء وغير ذلك من الأقوال السيئة والكلمات البذيئة ، واللسان إن لم يشغل بذكر الله ﷻ والنافع من القول سينشغل بالكلام السيئ والقول البذيء ، اللسان حُلق للكلام فإن لم يشغله صاحبه بكلام نافع مفيد وإلا فسينطلق بالكلام السيئ والقول البذيء . فإذاً من فوائد الذكر أنه يحصن الإنسان ويمنعه من الكلام السيئ من غيبة أو نميمة أو فحش أو بذاء أو غير ذلك .

قال : ((وَيَنْهَى الْفَتَى عَنْ غِيْبَةٍ وَنَمِيمَةٍ وَعَنْ كُلِّ قَوْلٍ لِلدِّيَانَةِ مُفْسِدٌ)) يعني عن كل الأقوال السيئة والألفاظ النابية التي تضر على الإنسان في دينه .

قال رحمه الله تعالى :

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذِكْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ طَرِيقٌ إِلَى حُبِّ الْإِلَهِ وَمُرْشِدٌ

وَيَنْهَى الْفَتَى عَنْ غِيْبَةٍ وَنَمِيمَةٍ وَعَنْ كُلِّ قَوْلٍ لِلدِّيَانَةِ مُفْسِدٌ

لَكَانَ لَنَا حَظٌّ عَظِيمٌ وَرَغْبَةٌ بِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ نِعَمَ الْمُوَحِّدِ

وَلَكِنَّا مِنْ جَهْلِنَا قَلَّ ذِكْرُنَا كَمَا قَلَّ مِنَّا لِلَّهِ التَّعَبُّدُ

قوله ((لَكَانَ لَنَا حَظٌّ عَظِيمٌ وَرَغْبَةٌ بَكْثَرَةٌ ذِكْرِ اللَّهِ)) هذا جواب الشرط في قوله ((وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذِكْرِهِ غَيْرُ أَنَّهُ - كذا وكذا - لَكَانَ لَنَا حَظٌّ)) يعني لو لم يكن في الذكر من فائدة إلا أنه يوصل العبد لنيل محبة الله ويحمي العبد وبقية من الأقوال البديئة والكلمات السيئة لكان كافياً في أن يكون لنا حظ كبير من ذكر الله ، كيف وقد جاء في الذكر فوائد كثار وآثار غزار لا حد لها ولا عد .

قال : ((لَكَانَ لَنَا حَظٌّ عَظِيمٌ وَرَغْبَةٌ بَكْثَرَةٌ ذِكْرِ اللَّهِ)) ؛ وهنا ينبّه الناظم - رحمه الله تعالى - إلى أن من الأمور المعينة للعبد على الإكثار من ذكر الله الوقوف على فوائد الذكر ، فالعبد إذا وقف على فوائد الذكر وتأملها وتذكرها وتذاكرها ودرسها أعانه ذلك على العناية بذكر الله ، ولهذا ينصح أهل العلم في هذا الباب بالإكثار من قراءة " الوابل الصيب " لابن القيم فهو من أنفع ما يكون في هذا الباب ؛ لأنه عدّد فوائد الذكر تعداداً تميز به - رحمه الله تعالى - في كتابه الوابل الصيب ، وعندما يقرأ المسلم تلك الفوائد التي عدّها ابن القيم - رحمه الله - تشدّ همته وتكون بإذن الله وَعَجَّلَ عوناً له على الإكثار من ذكر الله .

قال ((لَكَانَ لَنَا حَظٌّ عَظِيمٌ وَرَغْبَةٌ بَكْثَرَةٌ ذِكْرِ اللَّهِ نَعْمَ الْمَوْحَدُ)) أي الذي يُخْلِصُ له الدين ويُفرد - تبارك وتعالى - بالعبادة .

قال : ((وَلَكِنَّا مِنْ جَهْلِنَا قَلَّ ذِكْرُنَا)) ؛ وهذا فيه سبب قلة الذكر عند الإنسان وهو غلبة الجهل عليه ، بينما إذا استضاء بضياء العلم ونوره وعرف فوائد الذكر وثماره وآثاره فإن هذا بإذن الله وَعَجَّلَ يكون عوناً له على ذكر الله وَعَجَّلَ والإكثار منه .

قال : ((وَلَكِنَّا مِنْ جَهْلِنَا قَلَّ ذِكْرُنَا كَمَا قَلَّ مِنَّا لِلَّهِ التَّعَبُّدُ)) ؛ أي كما أننا ندرك فضل العبادة وثمارها وآثارها على العابد في الدنيا والآخرة ومع ذلك يحصل من العبد تقصير فالشأن كذلك في الذكر ، والعبد يحتاج بين وقت وآخر إلى أن يذكر نفسه بفوائد الذكر وآثاره وثماره العظيمة عليه في دنياه وأخراه ليكون ذلك عوناً له على الإكثار من ذكر الله وَعَجَّلَ .

قال العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى :

وَكُنْ ذَاكِرًا لِلَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ	فَلَيْسَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَقْتُ مُقَيَّدٍ
فَذِكْرُ إِلَهٍ الْعَرْشِ سِرًّا وَمُعَلَّنًا	يُزِيلُ الشَّقَا وَاهَمَّ عَنْكَ وَيَطْرُدُ
وَيَجْلِبُ لِلْخَيْرَاتِ دُنْيَا وَآجَلًا	وَإِنْ يَأْتِكَ الْوَسْوَاسُ يَوْمًا يُشْرِدُ
فَقَدْ أَخْبَرَ الْمُخْتَارُ يَوْمًا لِصَحْبِهِ	بِأَنَّ كَثِيرَ الذِّكْرِ فِي السَّبْقِ مُفْرِدُ
وَوَصَّى مُعَاذًا يَسْتَعِينُ إِلَهُهُ	عَلَى ذِكْرِهِ وَالشُّكْرِ بِالْحُسْنِ يَعْبُدُ
وَأَوْصَى لِشَخْصٍ قَدْ أَتَى لِنَصِيحَةٍ	وَقَدْ كَانَ فِي حَمْلِ الشَّرَائِعِ يَجْهَدُ
بِأَنَّ لَا يَزَلْ رَطْبًا لِسَانُكَ هَذِهِ	تُعِينُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ وَتُسَعِدُ
وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ غَرْسٌ لِأَهْلِهِ	بِجَنَّاتٍ عَدْنٍ وَالْمَسَاكِينُ تُمَهِّدُ
وَأَخْبَرَ أَنَّ اللَّهَ يَذْكُرُ عَبْدَهُ	وَمَعَهُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ يُسَدِّدُ
وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ يَبْقَى بِجَنَّةٍ	وَيَنْقَطِعُ التَّكْلِيفُ حِينَ يُحْلَدُوا
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذِكْرِهِ غَيْرُ أَنَّهُ	طَرِيقٌ إِلَى حُبِّ الْإِلَهِ وَمُرْشِدُ
وَيَنْهَى الْفَتَى عَنْ غِيْبَةٍ وَنَمِيمَةٍ	وَعَنْ كُلِّ قَوْلٍ لِلدِّيَانَةِ مُفْسِدُ
لَكَانَ لَنَا حَظٌّ عَظِيمٌ وَرَغْبَةٌ	بِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ نِعَمَ الْمُوَحِّدُ
وَلَكِنَّا مِنْ جَهْلِنَا قَلَّ ذِكْرُنَا	كَمَا قَلَّ مِنَّا لِلْإِلَهِ التَّعَبُّدُ

هذه الأبيات العظيمة جمع فيها الناظم رحمه الله تعالى اثني عشر فائدة من فوائد الذكر :

الفائدة الأولى : أن الذكر يزيل الشقاء ويطرد الهم عن العبد .

والفائدة الثانية : أنه يجلب للعبد الخيرات والنعم والبركات في الدنيا والآخرة .

والفائدة الثالثة : أن ذكر الله وَعَجَّلَ طارد للشيطان وحصن حصين للعبد يحميه من الشيطان الرجيم .

والفائدة الرابعة : أن الذاكرين الله وَعَجَّلَ هم السابقون ((سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ ، قَالُوا وَمَا الْمُفْرِدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ

الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ)) .

والفائدة الخامسة : أن النبي عليه الصلاة والسلام حث معاذاً رضي الله عنه على سؤال الله - تبارك وتعالى - العون على الذكر والشكر وحسن العبادة وهذه أجل المطالب وأعظم المقاصد .

والفائدة السادسة : أن ذكر الله تعالى يعين على الأمور كلها فإذا ثقلت العبادة أو شقت على العبد الطاعة فليس هناك مثل ذكر الله تعالى في تذليل ذلك وتيسيره .

والفائدة السابعة : أن ذكر الله - جل وعلا - غراس للجنة .

والفائدة الثامنة : أن الله تعالى يذكر من ذكره ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ ﴾ .

والفائدة التاسعة : أن الله - تبارك وتعالى - مع الذاكرين بعونه وتأيدته وتسديده تعالى .

والفائدة العاشرة : أن ذكر الله تعالى يبقى مع المؤمنين في جنات النعيم حين ينقطع التكليف ويخلد أهل الإيمان في جنات النعيم .

والفائدة الحادية عشرة : أن ذكر الله تعالى طريق لنيل حب الله ومرشد إلى ذلك وهادٍ إليه .

والفائدة الثانية عشرة : أن ذكر الله تعالى ينهى العبد عن الغيبة وعن النميمة وعن كل قول يضر بديانته .

فالأبيات مع وجازتها وسلاستها جمعت جمعاً طيباً في فوائد ذكر الله تعالى ، ونسأل الله العظيم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجزي الناظم خير الجزاء وأن ينفعنا بما سمعنا وأن يعيننا أجمعين على ذكره وشكره وحسن عبادته وأن يصلح لنا شأننا كله وأن يغفر لنا ولوالدين وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات .

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .